

نص الكلمة التي ألقاها البروفسور هنري العويط  
في حفل التكريم الرابع "أعلام من كسروان-الفتوح"  
الذي تنظمه جمعية "مبادرات للإنماء"  
يوم السبت 20 أيلول 2014  
في جامعة الروح القدس - الكسليك

## الأب سليم دكّاش

### إدارياً رشيداً، وتربوياً رائداً، وعالمياً باحثاً، ولبنانياً أصيلاً

ليست هذه الكلمة خُطبة تكريم، ولا هي ترمي إلى كيل المديح. فلست أنا أيها السيدات والسادة، من حَمَلَة المباخر، وعلمنا لا يعمل باعتباره راهباً يسوعياً إلا لمجد الله الأعظم. إنها عاطفة تقدير لمنظومة قيم، وخيارات، ومواقف، وإنجازات. وهي شهادة حقّ في سيرة الأب سليم دكّاش ومسيرته، إدارياً رشيداً، وتربوياً رائداً، وعالمياً باحثاً، ولبنانياً أصيلاً.

\* \* \* \* \*

### الإداري الرشيد والتربوي الرائد

أول ما يتبادر إلى الذهن، عند ذكر اسم الأب دكّاش، مسيرته المميّزة على صعيد الإدارة. لن أتناول هنا خبرته الإدارية في عالم الصحافة، وقد شغل، وهو بعدُ في العشرين من عمره، منصبَ مساعد مدير التحرير في جريدة *لسان الحال*، ويتولّى حالياً رئاسة تحرير مجلة *المشرق*، بل سأقصر حديثي على الإدارة التربوية التي مارسها في واحدة من كبريات مؤسساتنا التعليمية كمسؤولٍ عن الصفوف النهائية في مدرسة سيّدة الجمهور، قبل أن يتسلّم مقاليد رئاستها طَوّال ما يناهز عقدين من الزمن، والتي مارسها أيضاً وما زال في واحدة من أعرق مؤسساتنا الجامعية، مديراً لمعهد الآداب الشرقية، وعميداً لكلية العلوم الدينية، فريسياً لجامعة القديس يوسف. ويجمع من قُدّر لهم أن يعاينوه في هذه المناصب الرفيعة، تلامذة

وطلاباً وأسائذةً وأولياءً وقدامى خريجين، على أنه يمثل نموذجاً للريادة في الإدارة، ويجسد نمطاً عصرياً وديموقراطياً في القيادة التربوية. ففي هذا البلد الذي تقترن فيه السلطة، في الغالب الأعم، بالتسلط والشخصانية والارتجال والتفرد في اتخاذ القرارات، أرسى الرئيس دكاش أسلوبه في الإدارة على مفاهيم الخدمة والشراكة والرسالة، وعلى مبادئ الحوكمة الرشيدة وآلياتها.

ولأنه صاحبُ بصيرةٍ نافذة، ويتحلّى بموهبةٍ حُسن التمييز، ولأنه يعي تمام الوعي جسامتهِ المسؤوليات التي تُلقى على عاتق من يُعهد إليه بإدارة المؤسسات التربوية، أدرك أنه يستحيل عليه أن يكونَ عليماً بكلّ أمر، وخبيراً في كلّ مجال، فسعى باستمرارٍ إلى استكمال تنشئته وتأهيله، وأولى حُسن اختيار معاونيه من أصحاب الكفاءات عنايته الخاصة، وعرف كيف يعمل معهم كفريقٍ متجانس، يتكامل أعضاؤه في تعدد مواهبهم. وعلى ما عُرف عنه من واقعيةٍ وتواضع، تسلح بالجرأة، بل بالجراسة، في رسم الأهداف الطموحة، وله في هذا الصدد عبارةٌ معبّرة: *« Rien de grand n'a jamais été accompli sans témérité »*، وهذا تعريبها ببعض التصرف: *« ما من عملٍ عظيم تمّ إنجازه بغير جرأة وجراسةٍ وشيءٍ من المجازفة »*. واقترن النهج الذي اخطته في الإدارة بوضع الخطط البعيدة المدى، واعتماد التقنيات الحديثة، وتبني سياسة المبادرة والتجديد والابتكار، على جميع الصُعد وفي شتى المجالات.

حصل الأب دكاش في عالم التربية ثقافةً عريضةً وعميقة، وهو واسع الاطلاع على تياراتها ومذاهبها ومدارسها وأعلامها، ولكنه يؤثر الفلسفة التربوية التي صاغ مبادئها اغناطيوس دي لوبولا، وهي تمتاز بطابعها الإنساني، ورؤيتها الشاملة، وتركيزها على تنمية شخصية التلميذ والطالب في أبعادها الجسدية والفكرية والأخلاقية والروحية. وله في تحديد الرؤية التي يعمل بوحيتها، والقيم التي يُعلي من شأنها، والرسالة التي نذر نفسه للقيام بها، كتاباتٌ وآراء ومواقف، مسهبةً وواضحة. إقرأوا، على سبيل المثال لا الحصر، المداخلة التي ألقاها بعنوان: *« أيتها المدرسة المسيحية، ما أنت، وما خدمتك؟ »* وهي نصٌّ تأسيسيٌّ يصلح لأن يكون بمثابة الشريعة التربوية، يشدد فيه على أهمية *« تنشئة الشخص البشري على المعارف، والعلوم، والمهارات، والفنون الحديثة، وعلى النمو فيها حتى بلوغ الامتياز والجودة القصوى »*، تشديده على أهمية أن يعي *« الإنسان معنى حياته ووجوده كمؤمن »*. ولعلّه بالإمكان اختصاراً تصوّره التربوي بهذا الاقتباس: *« انفتاح ثقافي وعلمي مسؤول على عالم الحداثة، في إطار الترسخ في تقاليدنا وتراثنا الإيمانية المشرقية، وتجذّر في الأرض »*.

ولئن كان هذا التصور يعني جميع أفراد الأسرة التربويّة، فإنّه يتوجّه بصورةٍ خاصّةٍ وأساسيّةٍ إلى التلامذة والطلّاب. والأب دكّاش يولي تنشئتهم وإعدادهم عنايةً بالغة، لأنّه يعول على طاقاتهم الإبداعية الخلاقّة، ويؤمن بأهليّتهم لتحقيق الإصلاح والنهضة، وإحداث التغيير المنشود في العقليّات والتشريعات والأنظمة والبنى، ولتكوين مجتمعٍ معافٍ، وإعادة بناء الوطن-الرسالة. وهو القائل: "فالمدرسةُ المسيحيّةُ التي تشارك في إعداد المواطن اللبنانيّ الصالح هي خادمةٌ لفقرائه قبل أغنيائه، وهي خادمةٌ لتعزيز كلّ العناصر الروحيّة والتاريخيّة والثقافيّة والتراثيّة التي من شأنها إعادة الروح إلى الوطن". وها هو، على خطى من سبقوه، يشرّع أحرامَ جامعة القديس يوسف، كما شرّع أبوابَ مدرسة سيّدة الجمهور، لاستقبال تلامذة وطلّاب، تتنوع عقائدهم الدينيّة، وتتباين انتماءاتهم السياسيّة، وتتفاوت أوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، لاقتناعه الوطيد بأنّ المؤسّسة التي يديرها هي مساحةٌ تلاقٍ وتلاقح، وحوارٍ وتفاعل، ومختبرٌ للعيش المشترك، وبأنّها في خدمة لبنان، كلّ لبنان، وجميع اللبنانيين.

### العالمُ البحاثةُ

وفضلاً عن تمتّع الأب دكّاش بالموهب الإداريّة التي استعرضنا بعضاً من جوانبها وتجليّاتها، تجسّدت فيه مجموعةٌ من المزايا التي تثير فيك الإعجاب، وتحملك على تقدير صاحبها واحترامه، وفي طليعتها امتلاكه مؤهلاتِ العالمِ البحاثةِ وصفاته. ولئن اشتهر في أوساط الرأى العامّ المحلّي كرئيسٍ ناجحٍ لمدرسة سيّدة الجمهور، وما فتئ يقدّم الدليلَ تلو الآخر على أنّ ولايته كرئيسٍ لجامعة القديس يوسف سُنحله في مصافِّ أسلافه الكبار، فإنّه اقتطع لنفسه منزلةً رفيعةً في أوساط أهل الاختصاص، على الصعيدين اللبنانيّ والدوليّ، بفضل الدراسات القيّمة التي أغنى بها المكتبة الفلسفيّة واللاهوتيّة والتربويّة، والتي كرّسته مرجعاً وحجّةً في هذه الميادين.

للأب دكّاش سجلٌّ زاخرٌ بالدروس الجامعيّة التي أنجزها بتفوّق، في لبنان وباريس وستراسبور، وبالشهادات العليا التي راكمها، وأولّها الدبلوم في العلوم السياسيّة الذي ناله عام 1972، فالإجازة في الفلسفة، فالماجستير في الفلسفة واللاهوت، ودبلوم معهد الدراسات العليا التطبيقية في التصوّف الإسلاميّ والروحانيّة السريانيّة، ثمّ الدكتوراه في الفلسفة. ولا شكّ في أنّ هذه المسيرة الأكاديميّة الحافلة التي توجّها

في أواخر العام 2010 بالدكتوراه في العلوم التربوية، قد زوّده بذخيرة غنيّة من المعارف والكفاءات، وأكسبته عدّة منهجيّة ونقدية مكيّنة، وأهّلته لأن يغدو باحثاً رصيناً ومؤلفاً مرموقاً.

وأهله تضلّعه من لغة الضاد، وإجادته، فضلاً عن السريانية واللاتينية، مروحةً واسعةً من اللغات الأجنبية، لتعريب مجموعة من المؤلّفات، أذكر منها كتابي *الرسائل الروحية والميامر ليوحنا الدلياتي*، و*ثمار الروح للكاردينال ماريّا مارتيني*، وقضية *الخلق بحسب نصوص الشرق الأدنى القديم*، والكتاب الذي وضعه سليم عبو بعنوان *"الثقافات وحقوق الإنسان"*. وسمح له تعدّد الألسن هذا بالانفتاح على الحضارات والثقافات العالمية، والنهل المباشر من مصادر المعرفة الأصلية، وقد تجلّى أثر ذلك في ما يتّسم به فكره من رحابة وعمق وشمول وأصالة.

وفي غمرة ما يشوب معظم الكتب التي تُنشر عندنا من سطحية في المعالجة، ونزعة إلى إصدار الأحكام المطلقة والكيفية، وإغراق في الايديولوجية، يرتاح من يقرأ مؤلّفات الأب دكّاش بعين الناقد المتطلّب إلى ما تمتاز به من التزام بشروط البحث العلميّ ومعايير، وتطبيق صارم للأصول المنهجية، وجدّة في اختيار الموضوعات، وتوخّ للدقّة والموضوعية، وإعمال العقل، وطرح الأسئلة، وإثارة الشكّ، وحرص على التسويغ والتعليل، وسعيّ دؤوب إلى إقامة الدليل على صحّة الفرضيات، وسلامة المقاربات، وصلابة ما تُقضي إليه من نتائج.

ويسترعي انتباهك وأنت تتفحص قائمة أعماله، غزارة نتاجه الفكريّ، تعريباً عن الفرنسية والإيطالية والسريانية، أو تأليفاً بالفرنسية والعربية والإنكليزية والإيطالية. وسرعان ما تكتشف تنوّع الأبواب التي طرقها، وهي تتوزّع على حقول التربية، والروحانية السريانية، والفلسفة الأخلاقية والسياسية، والفقّه الإسلاميّ، ولقاء الحضارات، والحوار بين الأديان، والعلاقات الإسلامية-المسيحية، وغيرها من الحقول. حسبي أن أشير إلى واحدٍ من أهمّ كتبه، وهو وثيق الصلة بعلم الكلام وأصول الدين والفقّه الإسلاميّ، وقد صدر بعنوان *قضية خلق العالم لدى أبي منصور المائريدي وسيأفها العقلانيّ والتاريخيّ*، وأهله لأن ينشر في دائرة المعارف الإسلامية الراقية. وحسبي أن أشير أيضاً إلى كتابه الموسوعيّ الأخير بعنوان: *التعددية، والعيش المشترك، والمواطنة في لبنان: هل المدرسة هي سبيلنا إلى الخلاص؟* وقد ضمّنه دراسةً مقارنةً للغايات والأهداف والقيم المشتركة بين الجماعات في المدارس اللبنانية المسيحية والإسلامية والعلمانية، وقد أشاد المفكّر الفرنسيّ جان بول ريسفيبير Jean-Paul Resweber بهذا *"العمل الضخم"* وجودته العالية *"من حيث وضوح العرض ودقّة المعطيات والتحليل، وصحّة الحكم وأصالة الاستنتاجات"*.

بل رأى أنّ "النموذج المقترح فيه هو من الأهمية بحيث يتجاوز نطاق هذا البحث ويمكن تطبيقه في سياقاتٍ أخرى تسود فيها أشكالٌ مماثلةٌ من التعدديّات".

ولا أخالني أستسلم إلى إغراءات المبالغة والتضخيم إن جزمْتُ بأنّه يندرج في سلسلة أعلام الموارنة الأفاضل، وهي تمتدُّ من خزيجي المدرسة المارونيّة في روما بلوغاً إلى الأبوين ميشال حايك ويواكيم مبارك؛ ولا أخالني أجنب الصواب إن جزمْتُ بأنّه، في خطِّ الأمانة لتراثٍ عريقٍ وثريٍّ، يواصل المسيرة المتألّقة التي انتهجها أعلامُ اليسوعيّين، من عربٍ ومستشرقين، أمثال لويس شيخو، وبولس نويّا، وهنري لامنس، وميشال الأار.

### اللبنانيّ الصميم

لا يتّسع بالطبع المجال هنا لعرض الموضوعات التي عالّجها والمسائل التي بحثها، في عشرات الدراسات والمقالات والمحاضرات، ولكن يبدو لي من المفيد، في إطار اللقاء الذي يجمعنا اليوم، أن أتوقّف قليلاً عند القضية التي استأثرت دوماً باهتمامه، وغدا حضورها في كتاباته، في السنوات الأخيرة، محوريّاً وبارزاً وأشبّه باللازمة، عنيتُ بها القضية اللبنانيّة.

غنيٌّ عن البيان أنّ الأب دكّاش معنيّ، وإلى أبعد الحدود، بشؤون العالم العربيّ وشجونه، وبما تعانیه شعوبه من استبدادٍ وقمعٍ وقهرٍ وتخلفٍ وجرمان، وبما تشهده أقطاره من مخاضات انبلاج فجر الحرّية والعدالة والديموقراطيّة، ويؤلمه ما تتعرّض له الأقليّاتُ عامّةً، ومسيحيّو الشرق خاصّةً، من اضطهادٍ وتهجيرٍ ومخاطر، ويؤرقه ما يستبّد بهم من قلقٍ ممضٍ على المصير. ولكنّه، من أجل أبناء لبنان، وانطلاقاً من تعاطفه مع مواطني البلدان العربيّة، وتضامنه مع مسيحيّ الشرق، بل من أجل البشريّة جمعاء، معنيّ أولاً بأوضاع لبنان السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والتربويّة، والثقافيّة، وبإشكاليّات هويّته التعدديّة المركّبة، وبالتحدّيات الجمة التي يواجهها، وبما يرتّبها عليه موقعه ودوره ورسالته من مسؤوليّاتٍ ومقتضياتٍ وتبعات.

إقرأوا مقالاته وخطبه ومقابلاته، وأقرأوا بالتحديد الكلمة-البيان، التي ألقاها لأشهرٍ خلت، لمناسبة الاحتفال بعيد جامعة القديس يوسف السنويّ، لتنبئوا فهمه العميق لتاريخ لبنان، وتحليله الدقيق لواقعه الراهن، وتصوّره الرؤيويّ للمقبل من أيّامه. وتأمّلوا معي في الشعار الذي رفعه لمناسبة إحياء مؤبّية كليّات الطبّ

والحقوق والهندسة : " متمسكون بلبنان الذي ساهمنا في ولادته ونموه". فإن في هذا الشعار-البرنامج، تجذراً في الماضي وتذكيراً بإنجازاته المضيئة، ولكن فيه أيضاً تطلعات مستقبلية ووعداً وعهداً بإكمال المسيرة. ولأن هذا الموقف أبعد ما يكون عما تضحج به منايرنا من مطولاتٍ وادعاءاتٍ رتانةٍ وفارغة، ولأنه يشكّل، في إيجازه البليغ، التزامَ مواطنةٍ وخريطةَ طريق، دعوني أدعو جميع اللبنانيين إلى تبنيه، فعل محبةٍ وولاءٍ لهذه الأرض، وفعل إيمانٍ بديمومة هذا البلد، وفعل رجاءٍ وأملٍ بغده المشرق الزاهر.

\* \* \* \* \*

لا تدعي هذه اللوحة الخاطفة الإحاطة بشخصية الأب سليم دكّاش في وجوها وجوانبها وأبعادها المتنوعة والغنية. فهي لم تسلط الضوء مثلاً على طاقته الهائلة على التفكير والكتابة والعمل، وعلى هدوئه مع أنه لا يهدأ، أو على نشاطاته أستاذاً جامعياً لامعاً، أو على دوره الفاعل في تعزيز الحوار الإسلامي - المسيحي. وهي لم تُشير إلى أنّ ما هو عليه من صفات، وما حققه من إنجازات، إنّما ينبع من إيمانه المسيحي العميق، والتزامه الكهنوتي الرهباني المثالي. فالمرّي والإداري والمحرّر والناشر والمفكّر والمترجم والباحث والمؤلف، يعيش ويتصرف ويتكلّم ويكتب ويخطب ويعلم ويعظ لا كلاهوتي متخصص شغل منصب عميد كلية العلوم الدينية وأسس الكثير من المراكز وأطلق الكثير من المشاريع فحسب، بل ككاهنٍ حسب طقس الكنيسة الإنطاكية السريانية المارونية وكراهبٍ يسوعي، ملتزم بإيمانه، ويعبر عنه بوضوح وشفافيةٍ وعفويةٍ وبساطة، فلا يخلو موقفٌ يعلنه، أو خطابٌ يتلوه، أو مداخلةٌ يلقياها، من تلك النفحة الدينية الأصيلة الملتزمة والمنفتحة.

واسمحوا لي أن أختتم هذه الشهادة بإبراز الصورة التي يوحي إليّ بها التأمل في سيرته واستعراض مسيرته. فيخلو لي أن أشبهه بالبحر في فصل الصيف، بانسياب مياهه ودفء حرارته، وصفاء أديمه، وانعكاس الأنوار على صفحة وجهه، وأيضاً بعمقه، واتساع مده، وانفتاح آفاقه، وبما يكتنزه من لآلي وخيرات، وجمعه بين نعومة رمال شواطئه، وصلابة الراسخات من صخورها.

واسمحوا لي أن أذكرُ بأنه ابنُ كسروان-الفتوح البارّ، هو الذي أبصرَ النور في البوار وكان ربيبَ شواطئها، وتلقى علومه الابتدائية في جارتها العقيبية، ودروسه الثانوية في غزير، ومن هذه المنطقة العزيزة انطلق ليشتع على مساحة لبنان.

فشكراً لكسروان المعطاء وشكراً لأهلها الأوفياء.